ناجية المراني
شمعة عراقية مندائية لم تزل تنير الطريق بثبات وعزيمة

يحيى غازي الأميري

بغداد /قاعة مندى الصابئة المندائيين في 4 - 4 - 1997
أثناء تقديمي للأستاذة ناجية المراني ولمحاضرتها الموسومة (المندائية بين الحضارة والتخلف)

لم يقهرها جور السنين وقسوتها، يضفي عليها الشيب وقارا على وقارها، رغم تقدمها بالعمر، وما تحمله على كاهلها من إجهاد السنين القاسية لم تزل عالية الهمة متقدة الفكر، متجددة العزيمة، وفوق هذا تمتاز بنباهة عالية واضحة، لم يبهرها نجاحها وحب الناس لها بل زادها تواضعاً وطيبة وتقديم المزيد من الخدمات .
ناجية المراني قلبٌ لم يعرف الوهن والضعف والكره والحقد، امرأة لم يعرف قلبها اليأس والقنوط، متطلعة دوماً إلى الغد المشرق، ملتصقة بالحياة الاجتماعية تتابع التطورات والأفكار والأحداث، تنهل باستمرار من العلم والأدب هكذا عرفتها وبدأت أتابع وارصد تطلعاتها وحياتها .
زاد إعجابي بها وأنا أتابع تطورات حياتها، فهي من الرعيل الأول من المندائيات المتعلمات، فهي معلمة منذ نهاية ثلاثينيات القرن (العشرين) في ريف العمارة ومدينة العمارة ، بالإضافة لخدماتها بالتعليم فهي ذات نشاط متميز في النضال السياسي التقدمي والدفاع عن حقوق المرأة.
تحال على التقاعد عام 1963، رغم الظروف الصعبة القاسية التي كان يمر بها البلد، في تلك الفترة حيث أجواء (انقلاب 8 شباط) وما لحق بالبلد من قتل وتشريد وترويع و اعتقالات وسجون وقد أخذ الصابئة المندائيون حصتهم الكبيرة من ذلك ! رغم كل تلك الأجواء المرعبة، لم تستسلم (ناجية) لليأس والأمر الواقع (التقاعد) وجو الرعب

والهلع يحيطها، كانت طموحاتها وأحلامها تسير وفق رؤيتها المتفتحة لطلب العلم ومتابعة الأهداف وتحقيق الأحلام !!

في خضم تلك الظروف تقدم ناجية إلى الجامعة (في بغداد) لتحصل بعد سنوات دراستها الجامعية على بكالوريوس في الأدب (لغة إنكليزية)، تسافر بعدها إلى بيروت / لبنان لتقدم على نفقتها إلى (الجامعة الأمريكية) فتحصل على الماجستير (آداب لغة لإنكليزية) تقدم على الدراسة على نيل شهادة الدكتوراة وتعد رسالتها وقبل مناقشتها، تدخل لبنان الحرب الأهلية عام 1974 مما يضطرها العودة إلى العراق محملة برسالتها، التي أكملت إعدادها لتضعها على الرف وقلبها وعيونها عليها لعل يأتي الفرج يوماً لكن الفرج طال ولم يأتِ حتى غدا نسياً منسياً لتبقى حاملة رسالتها معها في فكرها المتقد المتجدد .

لقد حققت (ناجية المراني) نجاحات كبيرة جميلة نافعة للوطن والمندائية، إضافة إلى سنوات خدمتها الطويلة في التعليم، قدمت ناجية نتاجات أدبية جميلة عديدة تنوعت بين الدراسات والبحوث والمقالة والنقد والنثر والشعر والترجمة والتأليف وابرز وأكثرها شهرة كتبها (مفاهيم صابئية مندائية) فهو من الكتب المهمة التي لها الأثر الكبير في تعريف الراغبين بمعرفة المندائية وكذلك يعد مرجع مهم باللغة العربية للمهتمين والباحثين بالشأن المندائي من المندائيين وبقية الأديان الأخرى . لقد لاقى كتابها رواجاً وشعبية في مختلف الأوساط المهتمة بالمندائية. علماً إن الأستاذة ناجية تجيد اللغة المندائية قراءة وكتابة مما سهل نقل الصورة بالعربية بشكل دقيق وواضح . إذ تمتلك قابلية كبيرة بتطويع اللغة الأدبية ورصف مفرداتها مما يجعلها سهلة وممتعة في القراءة وبليغة ودقيقة بالمعنى المراد إيصاله للقارئ .

سوف أتحدث عن الصورة التي جمعتني بها، وهي تقديمي للأستاذة (ناجية) في إحدى نشاطات القسم الثقافي ، لمجالس الطائفة المندائية في مندى بغداد عام 1997 .

فعلى مدى ساعتين و وسط قاعة مكتظة بالحضور، و بعد أن اكتملت المقاعد المهيأة للجلوس بالحاضرين، اصطف العشرات من المندائيين من مختلف الأعمار على جانبي القاعة، وهم ينصتون بتحبب إلى صوت صديقتهم وهي تتلو محاضرتها التي أعدتها عن التاريخ الحديث للمندائيين ودورهم في بناء الوطن والحياة الاجتماعية والثقافية، تناولت خلالها أحداث وتطورات أزمنة مرت، و عن شخصيات مندائية متنوعة الإبداعات والمهن والحرف ووو ألخ .

وعلى مدى الساعتين لمحاضرتها شدت الحضور بخطابها حيث كانت تتكلم بنبرات صوت جميل الإيقاع فصيح اللسان واضح المقاصد.

سوف أحاول أن أسترجع وأستعيد الحالة لتلك الصورة التي كتبت بها رسالتي أدناه ، وبعثتها كرسالة إلى الأستاذة (ناجية) عندما كنت في عمان / الأردن بعدما كنت قد ذقت ذرعاً بالوضع الذي يلف البلد ووصلت إلى أن اتخذ قرارا" مجبرا" عليه بالرحيل عن وطني بمحض إرادتي بعد أن قلبّت كل الاحتمالات باحتمال تحسن الوضع فلم أهتدِ إلى أي بصيص أمل، لذا بعت بيتي وهو ملاذي وسكن عائلتي وكذلك بعت محل عملي وكل مافية من محتويات (ذهب وفضة) وكذلك أثاث بيتي وسيارتي ولم ابقِ أي شيء لي يمكن أن ارجع أليه في حالة فشل رحلتي وهجرتي إلى المجهول بعد أن عزمت وحزمت أمري ، وفي عمان وضعت كل ما املك بيد (المهربين) لغرض الوصول إلى أي بلد يقبلنا كلاجئين من وطننا الذي أصبح القائد الفذ وأزلامه يزيد من ضغطه ورعبه للمواطن الكريم بكل ما أوتوا من قسوة ، وبعد مخاض عسير ومعاناة قاسية أفلحت بالوصول لإحدى دول اللجوء ، إذ كنت خائف ومرعوب من فشل مغامرتي ، إذ كنت قد جربت مثل هذه المغامرة (الهجرة بطريقة التهريب) في عام 1992 فذقت التشرد والمأساة والنصب و ألاعيب النصابين وخداع المخادعين من المهربين وسماسرتهم كنت (أنا وعائلتي) وقد عانيت من جراء ذلك الفشل والخسارة المادية الكبيرة والمعاناة التي أرجعتني إلى نقطة الصفر حيث عدت إلى العراق (بعد ستة أشهر من الوجع والترحال من دولة لدولة) عدت محمل بالديون والهموم ، لقد كانت من التجارب القاسية الأليمة لي ولعائلتي (أن لذلك حكاية سوف اكتبها ذات يوم).

وسط هذا الجو النفسي وبعدي عن بلدي وأهلي وأصدقائي وأحبتي، كنت أقلب مجموعة من الصور حملتها معي إلى عمان، كنت وكأني اعرف ما سيلحق ببلدي سواء غادر صدام السلطة أو اجبر على مغادرتها أو بقي على سدة الحكم فقد خرب البلد ودمر العلاقات و أشاع سياسات تدميرية جند لها وهيئها من بعد سقوطه إذ جرى إعدادها على مدى سنوات طويلة لقد هيأ كل ما يضر الوطن والشعب وهاهي النتائج تظهر واضحة جلية للأعيان، موت وخراب ودمار ورعب وتشريد وتجويع يلف الوطن ويخيم على الشعب، كنت أتابع بشكل يومي أخبار الاستعدادات والمؤتمرات لتغير النظام الغاشم أتابعها من مختلف محطات التلفزة الفضائية وكذلك كنت اذهب كل يوم إلى جبل عمان (الدوار الأول) حيث هنالك مكتبة رائعة بكل محتوياتها إنها مؤسسة (المرحوم عبد الحميد شومان)هذا الإنسان الرائع الذي وهب جزءا" من ثروته للعلم والمعرفة والثقافة ، أذهب لقراءة الكتب المتنوعة ومتابعة الأخبار والتقارير الصحفية و الدراسات حول العراق وخطط التغير المرتقبة.

كانت صورة أمي لا تفارقني وهي تذرف دموعها عند توديعي وصوتها يرن برأسي ((يمه يحيى يمكن أموت وبعد ما أشوفك ولا أشوف أولادك ، يمه أم مخلد ،أشو كلكم عفتوني)) وكأنني أعلم ما سيحل بها بعد سنوات فكتبت رسالتي إلى ناجية وبكيت من كل قلبي وأنا أكتبها، وأدناه اسطر كلمات الرسالة مرة أخرى ، وأنشرها على الإنترنت عسى أن أزيح هم يجثم على صدري من جهة وارسم بكلماتي صورة أخرى عن امرأة عراقية (مندائية) طيبة صادقة نزيهة و مربية فاضلة ، خدمت البلد والناس والمندائية وتستحق الكتابة عنها.
أدناه نص الرسالة القديمة :

إلى الأستاذة ناجية غافل مران ((ناجية المراني)) المحترمة

تحية وبعد
في إحدى ليالي تشرين الثاني، وأنا أشاهد قنوات تلفزيون عمان وهي تقدم العديد من البرامج الرمضانية، وبينما كنت أشاهد أحد البرنامج بعد أن نام الأولاد، جلبت مجموعة كبيرة من الصور التي كنت قد جمعتها خلال سنين الحياة التي مررت بها، وصلت إلى صورة جمعتني في مندي الطائفة معك، كنت قد قدمتك في ندوة ثقافية مندائية، تفحصتها وتأملت فيها كثيراً واسترجعتني إلى أن أعيش جو الندوة وكيف شاء القدر أن أقدمك في الندوة، وهذا شرف كبير لي أعتز له وفخور به، مستمتعاً كلما تذكرته .
وضعت الصورة إلى جانبي وذهبت إلى دولاب حديدي وضعت فيه مجموعة من الكتب والمجلات المندائية التي جلبتها معي من العراق .
وأخرجت العدد السادس من مجلة أفاق مندائية وقرأت قصيدتك الجميلة ((وصية))

في غـدٍ يا أهلّ إن حمّ الرحيل ..... وانثنى خلُ لتوديـــــع الخليــل
و استقرت خفقة فـــــي جانحي ..... واهتدت روحي إلى النبعِ الأصيل
اذكروني وابسموا لا تـــــحجموا ..... إنما الذكرى مـــــــن اللقيا بديل
و احفظوا الـــودَ الـذي خلفتهُ ..... فـــــي كتابٍ عندكم حفظ الجميـل

إلى أخر القصيدة

انثروا حولي زهور الياســـمين..... وجعلوا قبري فـــــي ظل النخيــل

واعدت قراءتها عدة مرات وأصدقكِ القول ذرفت من الدموع كثيراً... حتى اكتفيت لم أجفف دموعي بل تركتها

تسيل كما تريد، وبعدها سحبت نفس عميق ووقفت وأزحت ستارة الشباك، وشاهدت منظرا رائعاً لجبل يطل أمامي وقد ملأته الأنوار ، كانت السماء ذات زرقة صافية ينيرها بدر بهي شامخ .
فأمسكت قلمي وأني أعترف لكِ أني لستُ بشاعر، لكن يعجبني في بعض الأحيان أن أكتب خواطر تكون أحياناً قصيرة وأحياناً لا بأس بها .
فكتبت لكِ هذه الكلمات:

إلى من لها في كل حديث روعة
تدخلين القلب بيســـر وســـرعة
وبهدوء بال تهدر ... كلماتك كالشلالات منفعة
جاعلةً الحبَ دوماً... متقداً ممتعا
ناجية انك ابتسامة بديعة ... يا أرق من زهرة ياسمين يافعة
لقد جئت بتحليلات بارعة
يا رب أحفظ لنا هذه الصانعة
و أنك بمقام أمي ... وليس لكلامي مرغباً لصانعة ... وأنه رأيّ وليس لي به من راجعة... وسأجعل أولادي وكل من أعرفهم أن يعرف من هذه المرأة الرائعة.

عمان في الحادية عشر والنصف ليلاً في 20- 11

واستهوتني أن أطول لكِ الرسالة بكلمات صادقة من ((جوه البي)) كما يقول المصريون، فكتبت لكِ هذه الكلمات
ناجية نور صافي
زاهية لون الأطيافِ
حانية بصدق وافي
ورعةً بتقوى الأسلافِ
مكتنزة بالحب الشافي

ناجية نور السماء الصافي
زاهية لون طيف الأطيافِ
حانية بصدق رائع وافي
ورعةً طيباً وتقوى الأسلافِ ورعة طيبةً
مكتنزة المعرفة بالحب الشافي
—
ناجية كالنور تشع
ناهية عن كل بشع
ناهرةً لكل مُبتدعْ
مؤيدة لكل مخترع
مشجعةً لكل مبدع

((ناجية أسطرلج هذن ... جلمات بس بيهن شجن ... وماعندي أكثر من هذن))

ناجية بجسمي تسري ، فرحان بيها تسري .

فلو كنت شاعراً لجعلت أسمك يدور، في كل البحور، وعلى مدار العصور، لعراقة الجذور، ورهافة الشعور، ولما بذلت من جهدٍ صبور، وحب وقور، وعلمٍ وفير، ورأي جسور ... ولا أبقى هكذا ألف وأدور !

ختاماً تقبلي فائق احترامي وتحياتي وأشواقي

يحيى غازي الأميري
عمان في الثانية عشر ليلاً في 28 - 11 – 2002

ملاحظة : أن الذي حفزني لكتابة هذه المقالة الآن، خلال اليوم الثاني من أعمال المؤتمر الرابع لاتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، وقبل انتهاء أعمال المؤتمر بقليل رفعت إحدى المندوبات (لم تسعفني الذاكرة أن أتذكر أسمها) يدها طالبة الكلمة، فطرحت اقتراحاً بتثمين جهود امرأة مندائية ذات خدمات جليلة ودور متميز في الحركة النسوية المندائية (ناجية المراني) واعتبار ذلك تكريم لدور المرأة المندائية، سُجل اقتراحها الذي أفرحني كثيراً، وحال وصولي البيت أمسكت قلمي وبدأت بتجميع أفكاري وكتبت مقالتي هذه، مع تحياتي مرة أخرى إلى العزيزة الناجية أنجاها الحي الأزلي والى صاحبة الاقتراح الجميل المرأة المندائية .

كتبت في مالمو / السويد أيلول 2006

ملاحظات مكملة لمقالتنا

بعميق الحزن قرأت في الكروبات الإلكترونية المندائية خبر وفاة عمتنا الغالية ناجية المراني في سوريا يوم 2011/6/30، حبست دموعي وبقيت ساعات أفكر مع نفسي أين سيوارى جثمانها ؟
وأي ثرى سيضمه؟
وكيف سوف تنفذ وصيتها؟
أخبرت عائلتي بالخبر المحزن

وفي صباح اليوم التالي زاد حزني وشعرت بألم شديد في قسوته يلامس شغاف قلبي عندما قرأت أن عزيزتي الغالية وأستاذتي الوقورة العمة ناجية قد أودع جثمانها الطاهر في مقبرة في سوريا.عصر الحزن قلبي فأطلقت لعيناي العنان بأن تذرف الدموع الغزيرة ، فبكيت عمتي بحرقة.
كنت قد نشرت قبل عدة سنوات مقالتي أعلاه و أشرت فيها إلى شيء من إبداعات وانجازات الأستاذة ناجية المراني؛ والمقالة نشرتها في العديد من المواقع الصحفية، وقد وجدت المقالة قد نشرت في مواقع صحفية لم ابعثها للنشر فيها فيزداد فرحي وسروري فالأستاذة ناجية شمعة مضيئة، تنير الصفحات التي تنشر لها.
وبعد نشري للمقالة وردتني عدة رسائل تتحدث بتقدير وحب كبير عن العمة ناجية احتفظ بقسم منها، ومن حسن الصدف تمكنت من إيجاد قسم منها، وذلك بعد الرجوع إلى أرشيف الرسائل الالكترونية، **وكانت إحدى تلك الرسائل وصلتني من العمة ناجية!**

سوف أدرج أدناه بعض من الرسائل التي وردتني بعد نشري للمقالة. كانت أحدى الرسائل قد وصلتني بتاريخ 10/سبتمبر /2006 من الأستاذ فراس عبد المجيد الشيخلي العراقي المقيم في المغرب، ويطلب مني أن ابعث بتحياته إلى العمة ناجية، وقد بعثت له جواباً على رسالته باني لم أعرف عنوانها حالياً وسوف أحاول جاهداً الحصول على عنوانها وإيصال تحياته ورسالته، وبقيت حائر من أين أبدأ بالسؤال عنها وعن عنوانها والوضع في العراق في تلك الفترة يرثى له!

وبعد خمسة أيام **وأنا أتصفح بريدي الإلكتروني وجدت رسالة من العمة ناجية**، وكأن القدر بعثها على طبق من الذهب وكما واضح من تاريخ الرسالة 16 / من سبتمبر 2006، فكانت فرحتي برسالة العمة ناجية لا توصف!

سوف اترك القارئ الكريم يقرأ البعض من تلك الرسائل

lördag 16 september 2006 18:55

:Från

"murrani Ayman" <hotmail.com@[redacted]>

:Till

yahya_ghazi2003@yahoo.se

الأخ العزيز يحيى

شكرا جزيلا على الرسالة بل المقالة التي نشرتها عني ,

لقد سرني كثيرا ان صديقا و اخا مثقفا امثالك يذكرني بالخير و بهذه الطريقة الراقية .

فألف شكر و تحيه لك و للعائلة ...

و اذا احتجت اي شيء مني فهذا هو عنواني ..

العمة ناجيه ...

:Från

"yahya yahya" <yahya_ghazi2003@yahoo.se>

:Till

hotmail.com@[redacted]

أستاذتي الكريمة ناجية المراني

تحية عطرة صادقة

أسعدني جداً وصول رسالتك الجميلة وهي تحمل كلماتك اللطيفة المعبرة عن مشاعركم الكريمة اتجاهنا ، لقد كتبت شيء صغير جدا عما قدمتي من خدمات وكفاح سنين بهمة وإخلاص وجدية ونزاهة انك بحق إنسانة رائعة أتمنى أن يكتب مثقفو الطائفة عن شخصياتنا المندائية الطيبة ليتعلم منهم الآخرون دروساً في التضحية والعطاء والتواضع والطيبة

أستاذتي الفاضلة وصلتني عدة رسائل تشيد بكتابتي عن العمة ناجية وقد أفرحني ذلك جداً وقد وصلتني رسالة وطلب مني صاحبها أن ابعث لك بتحياته الحاره والمؤثرة والتي بحق من أجمل ما قرأت عن الذين يزرعون الطيبة في القلوب أنها شهادة أدمعت عيناي لها فرحاً وسعادة

وابعث لجنابك الكريم نص الرسالة مع عنوان واسم مرسلها

في الختام أتمنى أن تبقى مراسلاتنا وسوف ابعث لك بعض المواضيع التي كتبت عنها وبعض الشخصيات التي تناولتها

تحياتي وتحيات العائلة ودعائنا لك بالصحة والسلامة

صغيركم

يحيى غازي رمضان الأميري

وأدناه نص الرسائل التي وصلتني من الأستاذ فراس عبد المجيد الشيخلي وفاءً لناجية المراني
söndag 10 september 2006 22:15
:Från
"firas rashid" <yahoo.fr@[redacted]>
:Till
yahya_ghazi2003@yahoo.se
الأستاذ يحيى
لك تحياتي
لك كل الشكر على هذه السطور الصادقة تجاه " عمة ناجية ". هذه الإنسانة الرائعة التي كنا نقسم بحياتها أمام والدينا ، حين نضطر الى تأكيد ما نقول ، وازالة الشكوك عنه .
.. يا الله ... كم أرجعتني ، دامع العينين ، الى تلك السنوات الجميلة / المرة التي كانت فيها زيارة " عمة ناجية " بمثابة عيد حقيقي ، وبهجة دائمة . فوالداي (رحمهما الله) علمانا أن ثمة علاقات انسانية تبلغ من السمو والعمق ما يجعلها تتجاوز الأديان والاختلافات العرقية والقومية الى فضاء ما هو انساني كوني
أرجوك أن تبلغ " عمة ناجية " هذه المربية الكبيرة تحياتي أنا (فراس عبد المجيد) ابن عبد المجيد الشيخلي وخديجة حمودي (رحمهما الله) إذا كان لديك أي اتصال بها أو بمن هو قريب منها
تحية لك .. وتحية وفاء وحب ل " عمة ناجية " المندائية العراقية الأصيلة
فراس عبد المجيد / الرباط - المغرب

måndag 11 september 2006 20:53
:Från
"firas rashid" <yahoo.fr@[redacted]>
:Till
"yahya yahya" <yahya_ghazi2003@yahoo.se>
الأخ العزيز يحيى
سلامي الحار
شكرا لك، أخي الكريم، لاستجابتك السريعة في الرد على رسالتي.. وكم أكون ممتنا لو أرسلت رسالتي ، أو مضمونها ، الى عمتي الحبيبة ناجية . وكم يسعدني أن أتواصل معها ، بعد ما يقارب الأربعين سنة ، وربما أكثر .. وربما أقل بسنتين أو ثلاث.. لأشم، ولو عن بعد، رائحة الوطن العزيز المفعمة بالطيبة والأصالة والثقافة الإنسانية والخلق الرفيع.. ولأسألها عن " عمو حميد خشن " وعن زوجته " عمة كمالة " وعن عمنا الفنان الكبير جواد درباش وتلك الصفوة المندائية الكريمة التي كنا نرى فيها فخرا لنا وللعراق العزيز

تحياتي .. وأرجو أن تكونوا جميعا بخير.
فراس عبد المجيد

ملاحظة أخيرة : حدثت وفاة العمة ناجية أثناء تواجدي في زيارة إلى أستراليا، فأقامت جمعية الصابئة المندائيين بتاريخ 4/تموز/2011 في استراليا مجلسا كبيراً لطلب الرحمة المغفرة في أحدى قاعات مدينة سدني/ ليفربول، للراحلة العمة ناجية برعاية رئيس طائفة الصابئة المندائيين في العراق والعالم فضيلة الكنزبرا ستار جبار حلو وبحضور جمهور غفير من المندائيين غصت بهم القاعة؛ وتخلل مجلس التأبين قراءات لبعض البوث من الكتاب المقدس للصابئة المندائيين " كنزا ربا" قام بقراءتها على مسامع الحاضرين فضيلة الترميذا وليد عبد الرزاق ثم تلتها كلمة رئيس الطائفة الكنزبرا ستار جبار حلو وكذلك شارك عدد من السيدات والسادة الأفاضل بكلمات تحدثوا

فيها عن مآثر الفقيدة الغالية، وهم على التوالي فضيلة الكنزبرا الدكتور هيثم سعيد، والأستاذة راجحة عيسى السليم، والأستاذ أمين فعيل، وقد كان لي الشرف أن أشارك في هذا المجلس بقراءة بعض المقاطع من مقالتي المنشورة أعلاه وكذلك قراءة نصوص الرسائل التي وصلتني والتي نشرتها في نهاية هذه المقالة. قدم لفقرات مجلس طلب الرحمة والمغفرة الصديق الأديب الأستاذ خليل إبراهيم الحلي، رئيس تحرير جريدة العهد التي تصدر في استراليا.